

الباب الرابع

تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

أ. الوصف العام

واسمه التام تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان بدأ الشيخ عبدالرحمن بن ناصر السعدي رحمه الله تأليف هذا التفسير المبارك في عام ١٣٤٢ هـ وانتهى في عام ١٣٤٤ هـ. وبهذا يظهر أنه قد بدأه وله من العمر خمسة وثلاثون عاما وأتمه وله من العمر سبعة وثلاثون عاما.

١. خلفية التأليف تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

وصدّر المؤلف كتابه بمقدمة بين فيها الأسباب التي دعت به إلى كتابة هذا التفسير إذ يقول "... وقد كثرت تفاسير الأئمة، رحمهم الله، لكتاب الله. فمن مطول خارج في أكثر مجوئه عن المقصود، ومن مقتصر يقتصر على حل بعض الألفاظ اللغوية، بقطع النظر عن المراد. وكان الذي ينبغي في ذلك أن يجعل المعنى هو المقصود، و اللفظ وسيلة إليه... و لما من الباري علي وعلى إخواني بالإشتغال بكتابه العزيز، بحسب حال اللاتفة بنا، أحببت أن أرسم من تفسير كتاب الله ما تيسر، وما من به الله علينا، ليكون تذكرة للمحصلين، وآلة للمستبصرين، ومعونة للسالكين، ولأقيده خوف الضياع، ولم يكن قصدي في ذلك إلا أن يكون المعنى هو المقصود، ولم أشتغل في حل الألفاظ والعقود، للمعنى الذي ذكرت، ولأن المفسرين قد كفوا من بعدهم..."^١

^١ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، (بيروت: دار احياء التراث العربي، ١٤٢٠ هـ)، ط.١، ص. ١٣.

ب. منهج السعدي

١. تفسير القرآن بالقرآن

كان السعدي تارة يفسر الآية بالآية، ومن الأمثلة على ذلك قوله تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُمْ بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَى عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرْمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ. (سورة المائدة: ١) ^٢ بين السعدي (إلا ما يُتْلَى عَلَيْكُمْ) تحريمه منها في قوله: حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالِدَمُّ وَالْحِمُّ الْحَنِزِيرُ إِلَى آخِرِ الْآيَةِ (سورة المائدة: ٣). ^٣ فإن هذه المذكورات وإن كانت من بهيمة الأنعام فإنها محرمة.

و كذلك في قول تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (الفاتحة: ٦). فسر الشيخ هذه الآية بآية بعدها وهي: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (الفاتحة: ٧) من النبيين والصدّيقين والشهداء والصالحين. ^٤

٢. تفسير القرآن بالسنة

اعتمد رحمه الله البيان بالسنة عند تفسيره للآيات التي يتوقف بيانها، ومن الأمثلة على ذلك قول تعالى في وصف المنافقين الذين ظاهروهم الإسلام وباطنهم الكفر فقال: وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُحَادِثُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَهُمْ عَدَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (البقرة: ٨-١٠). بين السعدي في تفسيره أن النفاق هو: إظهار

^٢ نفس المرجع، ص. ٢٣٥.

^٣ نفس المرجع، ص. ٢٣٦.

^٤ نفس المرجع، ص. ٣٦.

الخير وإبطان الشر، ويدخل في هذا التعريف النفاق الاعتقادي، والنفاق العملي، كالذي ذكر النبي صلى الله عليه وسلم في قوله: "آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا أؤتمن خان" وفي رواية: "وإذا خاصم فجر".^٥

و في قول تعالى: الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ وَالْكَاطِمِينَ الْغَيْظَ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ (ال عمران: ١٣٤). بين الشيخ (والله يحب المحسنين) والإحسان نوعان: الإحسان في عبادة الخالق والإحسان إلى المخلوق، فالإحسان في عبادة الخالق. فسرهما النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: "أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك".^٦

اعتمد رحمه الله هذا البيان بالسنة عند تفسيره للآيات التي يتوقف بيانها على معرفة الكلمة القرآنية، والتي يدور عليها المعنى غالباً، أو يكثر ذكرها في القرآن، وتحتمل معاني كثيرة بحسب موضعها، ولا يوجد لها بيان واف من القرآن.

٣. تفسير القرآن بأقوال الصحابة

منهج رحمه الله في تفسير للآية القرآنية تارة يذكر أقوال الصحابة والتابعين رضي الله عنهم، ومن الأمثلة على ذلك، قول تعالى: إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ * إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا

^٥ محمد بن اسماعيل البخاري، صحيح البخاري، ج. ٣، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ)، ص. ٢١٧.

^٦ محمد بن اسماعيل البخاري، مرجع السابق، ج. ١، (بيروت: دار الفكر، ١٤١٤هـ)، ص. ٢٢.

مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ (المائدة: ٣٣-٣٤).^٧ وبين السعدي أن المحاربون لله ولرسوله، هم الذين بارزوه بالعداوة، وأفسدوا في الأرض بالكفر والقتل، وأخذ الأموال، وإخافة السبل. والمشهور أن هذه الآية الكريمة في أحكام قطاع الطريق، الذين يعرضون للناس في القرى والبوادي، فيغصبونهم أموالهم، ويقتلونهم، ويخيفونهم، فيمتنع الناس من سلوك الطريق التي هم بها، فتنتقطع بذلك.

فأخبر الله أن جزاءهم ونكالهم عند إقامة الحد عليهم أن يفعل بهم واحد من هذه الأمور. واختلف المفسرون: هل ذلك على التخيير، وأن كل قاطع طريق يفعل به الإمام أو نائبه ما رآه المصلحة من هذه الأمور المذكورة وهذا ظاهر اللفظ، أو أن عقوبتهم تكون بحسب جرائمهم، فكل جريمة لها قسط يقابلها، كما تدل عليه الآية بحكمتها وموافقتها لحكمة الله تعالى. وأنهم إن قتلوا وأخذوا مالا تحتم قتلهم وصلبهم، حتى يشتهروا ويختزوا ويرتدع غيرهم. وإن قتلوا ولم يأخذوا مالا تحتم قتلهم فقط. وإن أخذوا مالا ولم يقتلوا تحتم أن تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، اليد اليمنى والرجل اليسرى. وإن أخافوا الناس ولم يقتلوا، ولا أخذوا مالا نفوا من الأرض، فلا يتركوا يأوون في بلد حتى تظهر توبتهم. وهذا قول ابن عباس رضي الله عنه وكثير من الأئمة، على اختلاف في بعض التفاصيل.^٨

^٧ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مرجع السابق، ص. ٢٣٦.

^٨ وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: (إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا) الآية، قال: كان قوم من أهل الكتاب بينهم وبين النبي صلى الله عليه وسلم عهد وميثاق، فنقضوا العهد وأفسدوا في الأرض، فحبر الله رسوله إن شاء أن يقتل وإن شاء أن يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف، رواه ابن جرير.

واخذ ايضا من قول الصحابة في الآية: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ
وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ (الأنعام: ١).

بين السعدي (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) وهي: الدار الآخرة، التي ينتقل العباد إليها من
هذه الدار، فيجازيهم بأعمالهم من خير وشر.^٩ قال سعيد بن جبير، عن ابن عباس (ثُمَّ
قَضَىٰ أَجَلًا) يعني الموت (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ) يعني الآخرة.

ج. التحليل لتفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان

١. أسلوبه

قد ذكر في باب الثالث أن أساليب التفسير تنقسم إلى أربعة أقسام وهي التفسير
التحليلي والتفسير الإجمالي والتفسير المقارن والتفسير الموضوعي. ونظرت في هذا التفسير
(تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان) أنه يدخل تحت التفسير الإجمالي ، وهو
الأسلوب الذي يعمد فيه المفسر إلى آيات قرآنية حسب ترتيب المصحف فيبين معاني
الجمل فيها متتبعا ما ترمي إليه الجمل من أهداف ويصوغ ذلك بعبارات من ألفاظه
ليسهل فهمها وتتضح مقاصدها للقارئ والمستمع. كما وضح الشيخ عبد الله بن عبد
العزیز بن عقيل في مقدمة هذا التفسير "حيث جاء هذا التفسير سهل العبارة، واضح

^٩ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، مرجع السابق، ص. ٢٧٣.

الإشارة، وصاغه على نمط بديع بعبارات قريبة لا خفاء فيها ولا غموض، فهو يعتني
بإيضاح المعنى المقصود من الآية بكلام مختصر مفيد".^{١٠}

٢. منهجه

وربما ذكر المفسر بعض الأحاديث النبوية الشريفة كما في سورة التغابن الآية ١٦
لكن دون ذكر من خرّج الحديث ومن رواه من الأئمة. و من جانب منهجه كان رحمه الله
يجمع بين تفسير بالمأثور و بالرأي أو تفسير الأثري والنظري، وبيان التفصيلي كالتالي:

أ) التفسير بالمأثور

أن التفسير بالمأثور أو التفسير النقلي ما نقل بنقل صحيح عن رسول الله
أو الصحابة أو التابعين، فإنه ضروري لحسن فهم القرآن وتفسيره، ولا بد لكل
مفسر يريد أن يكون تفسيره صوابا مقبولا من أن ينطلق من التفسير بالمأثور.^{١١}
كما بحثت في السابق، فهذا التفسير (تيسير الكريم الرحمن في تفسير
كلام المنان) من التفسير بالمأثور لأن:

- ما صح من الأحاديث المرفوعة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم. والإمام
السعدي نقل من النبي الحديث الصحيح.

^{١٠} نفس المرجع ص. ٩.

^{١١} صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص. ٢٠١.

كتفسيره في قول تعالى: اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ (الفاتحة: ٦). فسر

الشيخ هذه الآية بآية بعدها وهي: صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ (الفاتحة: ٧)^{١٢}

من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين.

- ما صح من أقوال الصحابة والتابعين. أن الإمام السعدي نقل من أقوال الصحابة

أو التابعين مثل ابن عباس وغيرهم. كما وجدت في سورة الفاتحة عن كلمت

الصراط المستقيم و فسر السعدي الصراط: لزوم دين الإسلام.^{١٣}

ب) التفسير بالرأي

هو ما كان اعتماد المفسر فيه على الاجتهاد والاستنباط المستند إلى

الأصول اللغوية والشرعية ولا يقتصر المفسر بالرأي على نقل معنى الآية عمّن

سلف من العلماء السابقين له.^{١٤} و تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام

المنان من التفسير بالرأي ، لأن:

- تفسير القرآن بالقرآن ممن هو دون النبي صلى الله عليه وسلم أو الصحابة أو

التابعين فهو من اجتهاد المفسره وليس الرواية. وهكذا الإمام السعدي فسر

^{١٢} قال مسلم: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي هو ابن راهويه حدثنا سفيان بن عيينة عن العلاء، يعني ابن عبد الرحمن بن يعقوب الخرقى عن أبيه عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "من صلى صلاة لم يقرأ فيها أم القرآن فهي خداج ثلاثاً غير تمام" فقيل لأبي هريرة إنا نكون خلف الإمام، فقال: اقرأ بما في نفسك فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: "قسمت الصلاة بيني وبين عبدتي نصفين ولعبدتي ما سأل فإذا قال: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} قال الله حمدي عبدتي، وإذا قال {الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ} قال الله أثنى عليّ عبدتي، فإذا قال {مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ} قال الله: مجدني عبدتي، وقال مرة: فوض إليّ عبدتي، فإذا قال: {إِنَّكَ نَعْبُدُكَ وَإِنَّكَ نَسْتَعِينُ} قال: هذا بيني وبين عبدتي ولعبدتي ما سأل، فإذا قال {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ} صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ} قال الله: هذا لعبدتي ولعبدتي ما سأل".

^{١٣} وقال إسماعيل بن عبد الرحمن السدي الكبير عن أبي مالك وعن أبي صالح عن ابن عباس وعن مرة الهمداني عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) قالوا هو الإسلام. انظر إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي، تفسير القرآن العظيم، ج. ١، (بيروت: مكتبة النور العلمية، ١٩٩٥م)، ص. ٢٦.

^{١٤} موسى إبراهيم الإبراهيم، المرجع السابق، ص. ١٠٠.

القرآن بالقرآن ليس كله من الروايات عن النبي أو الصحابة أو التابعين، بل فسر القرآن بالقرآن باجتهاده. وأقول هنا أن تفسير القرآن بالقرآن ليس التفسير بالمأثور ولكن من أحسن طرق التفسير كقول ابن تيمية إن أصح طرق التفسير في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في مكان آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر.^{١٥} كما استنبط الشيخ السعدي عن التوحيد في تفسير سورة الفاتحة: "فهذه السورة على إيجازها، قد احتوت على ما لم تحتو عليه سورة من سور القرآن، فتضمنت أنواع التوحيد الثلاثة: توحيد الربوبية يؤخذ من قوله: (رَبِّ الْعَالَمِينَ).

وتوحيد الإلهية وهو أفراد الله بالعبادة، يؤخذ من لفظ: (اللَّهُ) ومن قوله: (إِيَّاكَ نَعْبُدُ) وتوحيد الأسماء والصفات، وهو إثبات صفات الكمال لله تعالى، التي أثبتنا لنفسه، وأثبتها له رسوله من غير تعطيل ولا تمثيل ولا تشبيه، وقد دل على ذلك لفظ (الْحَمْدُ) كما تقدم. وتضمنت إثبات النبوة في قوله: (اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ) لأن ذلك ممتنع بدون الرسالة".^{١٦} وهذا الاستنباط قائم على النظر والاجتهاد السعدي.

واستنبط أيضا بعد تفسير آية: (وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (الانفال: ٦١)). فإن في الصلح وترك القتال بين المسلم والكافر ذلك فوائد كثيرة.

^{١٥} مساعد بن سليمان بن ناصر الطيار، المرجع السابق، ص. ٩٣.

^{١٦} مرجع السابق، ص. ٣٧.

منها: أن طلب العافية مطلوب كل وقت، فإذا كانوا هم المبتدئين في ذلك، كان أولى لإجابتهم.

ومنها: أن في ذلك إجماعاً لقواكم، واستعداداً منكم لقتالهم في وقت آخر، إن احتيج لذلك.

ومنها: أنكم إذا أصلحتهم وأمن بعضكم بعضاً، وتمكن كل من معرفة ما عليه الآخر.^{١٧}

^{١٧} مرجع السابق، ص. ٣٢٩.